الفصل الثانى

السنوات الأولى من إصلاح ميجى

١ - مصير يوشينوبو والحرب الأهلية:

عرفنا فيما سبق كيفية نهاية الحكومة العسكرية فى إيدو وذلك بصدور الأمر الإمبراطورى بإلغاء الباكفو وملحقاتها فى ٩ ديسمبر من عام ١٨٦٧م، وقبل ذلك بأقل من شهرين كان الشوجون الأخير يوشينوبو قد تخلى بمحض إرادته عن السلطة لتكون فى يد الإمبراطور. وهكذا كان يمكن أن تمر الأمور بسلام لولا أن جناح الصقور المتمثل فى محاربى ساستوما وتشوشو أبوا أن تمر الأمور بسلاسة ويسر. هذا إلى جانب أن اغتيال المناضل من أجل وحدة ومستقبل اليابان ساكاموطو ريوما وزميل كفاحه ناكا أوكا شينتارو Nakaoka Shintaro (١٨٣٨م – ١٨٦٧م) على يد فرقة مسلحة تابعة للباكفو فى نوفمبر ١٨٦٧م، اعتبر كنذير شؤم لكى يبدأ العصر الجديد بحرب أهلية، وليس بسلام وأمان كما أراد رسول السلام اليابانى ريوما.

كان من المعتقد ومن المتوقع بعد أن ترك يوشينوبو السلطة بمحض إرادته للإمبراطور أن يحتفظ بمنصبه كمساعد للإمبراطور، وأن تحتفظ عائلة طوكوجاوا بممتلكاتها التى تصل قيمتها إلى ٧ ملايين جوكو من الأرز (الجوكو = ١٨٠ لترًا) وهى بالطبع ممتلكات ضخمة جداً. بل كان من المتوقع بشدة أن يصل يوشنوبو إلى منصب الدايميو الأكبر بعد هذه الخطوة السلمية التى قام بها إلا أنه على الرغم من ذلك فقد صدر فى اليوم نفسه الذى صدر فيه إعلان نهاية الحكومة العسكرية (الباكفو) الأمر بإبعاد يوشينوبو عن منصب (ناى دايجين) أى مساعد الإمبراطور، وصدر أيضاً الأمر بسحب كل ممتلكات الشوجون وعائلته وهكذا تم استبعاد بل طرد يوشينوبو من كل مناصبه بالتخطيط ما بين قواد ساستوما والنبيل إيواكورا طومومى برغم معارضة قادة مقاطعة طوسا لهذه الإجراءات أشد المعارضة فإن الأمور سارت كما أرادت ساتوسوما تماماً.

ولكن يبدو أن طول فترة حكم أسرة الطوكوجاوا قد جعل منها تابوها يتغلغل فى نفوس اليابانيين؛ فقد ثارت عدة مقاطعات على ساتسوما. ومن أكثر المقاطعات معارضة لساتسوما

كانـــت كل من أيزو (محافظة فوكوشـــيما) وكووانـــا Kuwana (محافظة ميى) لهما موقف متشدد. فقد انضم محاربو المقاطعتين إلى جانب يوشينوبو.

كان يوشـــينوبو وجنـــوده قد انســـحبوا من العاصمة كيوطو إلى أوســـاكا فـــى نهاية عام ١٨٦٧م، وعندما حدث ما حدث من ساســـتوما وتشوشـــو من إيذاء ليوشينوبو فما كان منه ومـــن خلفائه إلا أن ســـاروا نحو كيوطو فى جيش عرمـــرم قوامه ١٥ ألف جندى فى الأول مـــن ينايـــر ١٨٦٨م. وحدث التصادم بين الجانبين فى الثالـــث من يناير عند مدينتى طوبا وفوشيمى اللتين كانتا تقعا عند المدخل الجنوبى من العاصمة كيوطو.

وعلـــى الرغم مـــن أن جيش الإمبراطور الـــذى يمثل العمود الفقرى له جيش ساتســـوما لم يتجاوز عدد جنوده خمسة آلاف جندى وهو بذلك يمثل ثلث عدد الجانب الآخر، فإن جيش يوشـــينوبو الذى كان يتكون من عدة مقاطعات فقد ولاءه لقيادته، فتلقى هذا الجيش العرمرم هزائم متتالية بشكل لم يكن متوقعًا على الإطلاق. وإلى جانب عدم الولاء والأسلحة القديمة والقواد العســـكريين ذوى الخبرة الضحلـــة والطرق الحربية العقيمة. إلى جانب كل ذلـــك كان للإعداد الجيد الذى قامت به مقاطعة ساســـتوما أثره البالغ فى هزيمة معســـكر يوشـــينوبو، وهكذا بدأت حرب البوشـــين، وهى مجموعة المعارك التى تعارك فيها جيش الباكفـــو ضد جيش الحكومة الجديدة بدأت بهزيمة جيـــش الباكفو وانتهت أيضاً بهزيمته فى النهاية أمام جيش حكومة ميجـــى. ومن الجدير بالذكر أن كلمة بوشين تعنى اسم العام الذى امتدت على مداره هذه المعارك المتتالية.

بعد انتصار جيش الإمبراطور الذى اشتركت فيه نحو عشرين مقاطعة،ولكن أكبر ثلاث مقاطعات اشـــتركت فى هذا الجيش كانت بالطبع ساســـتوما وتشوشـــو وطوسا. نقول بعد انتصـــار هذا الجيش فى موقعتى طوبا وفوشـــيمى تقدم هذا الجيـــش بقيادة الأمير ناروهيتو حاملاً أعلام الإمبراطورية نحو إيدو عاصمة الباكفو.

وفى هذه الأثناء اتخذت عدة إجراءات لإضعاف الباكفو تماماً سواء من الناحية السياسية أو الاقتصاديـــة، فكما ذكرنا أيضاً فقد تم وضع ممتلكات الباكفو وأســـرة الطوكوجاوا تحت الإدارة المباشـــرة للبلاط الإمبراطورى وذلك فى بداية العام الجديد، ثم انتزعت الإجراءات الدبلوماســـية لتصبح فى يد الإمبراطور فأصبح مثول القناصل وإتمام المراســـم أمام الإمبراطور وليس أمام الشـــوجون. وبذلك أصبحت الحكومة الشـــرعية والرسمية أمام الدول الأجنبية

هـــى الحكومة الجديدة أو بالأحرى حكومة الإمبراطور، كل هذه الإجراءات وغيرها أقنعت مقاطعـــات الغرب وحكامها بالخضوع للحكومة الجديدة، وهـــذه المقاطعات وعلى الأخص مقاطعة أوســـاكا لها أهمية شـــديدة نظراً لثقلها الإقتصادى وذلك لوجود كبار التجار وكذلك كبار ملاك الأراضى بها.

وفـــى الحقيقـــة لم يكن كبارالتجار وكبار الإقطاعيين يؤيـــدون الحكومة الجديدة فى البداية لقناعتهم أن تقويض النظام القديم الذى بنوا على أساسه ثرواتهم وحصلوا على سطوتهم فى ظله لن يكون فى صالحهم على الإطلاق. ونظراً لإحكام السيطرة الاقتصادية والسياســـية على هذه المقاطعات من قبل الحكومـــة الجديدة جعلهم لا يجدون مفراً من تأييدها.وهذا بالطبع كان مهماً جداً لتعضيد موقف الحكومة الجديدة،مما جعل جيشها يتقـــدم نحو عاصمة الباكفو «أيدو» بكل الثقة فى تحقيـــق النصر.وهنا نذكر القارئ بأن عاصمة اليابان التقليدية كانت كيوطو حيث كان يمكث الإمبراطور وكانت أيدو هى مقرًا أو بالأحرى عاصمة الشـــوجونية، وفى الحقيقة أنه إذا ما كان كبار التجار والإقطاعيين لم يرحبوا فى بادئ الأمر بالحكومة الجديدة، فإن الذى أحرزه جيش الحكومة الجديدة من انتصار على جيش الباكفو فى موقعتى طوبا وفوشـــيمى قد أســـعد عامة الشـــعب فى مدينتى كيوطو وأوســـاكا، واســـتقبلا هذا النصر بكل الترحيب والســـعادة. وهذا الموقف المرحـــب بجيـــش الحكومة الجديدة من جانب أهالى كيوطو وأوســـاكا يظهر بوضوح فى ذلك الخطاب الذى أرسله أهم قواد الحكومة الجديدة وهو سايجو تاكامورى – إلى ذويه فى كاجوشيما:

حيث ذكر ما يلى:–

«منـــذ معركة يوم الثالث من يناير لم يحدث أن هزمنا ولو هزيمة واحدة، فقد انتصرنا فى كل المعارك، وأنا لم أشاهد فى حياتى مثل هذا. فعلى الرغم من كثرة البيوت المحترقة فى فوشـــيمى وما حولها فإن جنود ساتســـوما وتشوشو قوبلوا بالترحيب من الكبار والصغار والرجال والنساء، وخرج الجميع إلى الطرقات يوجهون الشكر لهم ويصلون من أجلهم. وقد كان هناك كثيرون يتقدمون نحونا ويعطوننا المأكولات والخمر.إنه لشىء مبهج لى حقاً».

هكذا اســـتقبل عامة الناس العصر الجديد بكل الترحـــاب والتهليل لأنهم اعتقدوا بقوة أنهم ســـوف يتخلصون من استبداد العسكر الذين حكموا البلاد لعشرات السنين، واعتقدوا

أيضاً أن العهد الجديد سوف يجلب لهم السعادة والهناء، فهل تحقق لهم هذا بالفعل؟؟ هذا ما سوف نراه مع أحداث العهد الجديد.

كانت نتيجة الانتصار فى موقعتى طوبا وفوشيمى باهرة؛ حيث أصبح يطلق على هذا الجيش الذى أحرز النصر لقب «Kangun» أى جيش الإمبراطور، ولأن مكانة الإمبراطور الروحية فى اليابان لايمكن تجاهلها فقد انضمت مقاطعات عديدة لهذا الجيش ما أدى إلى زيادة عدد جنوده إلى ما يزيد على خمسين ألف جندى. كذلك فإن مازاد من موقف جيش الباكفو القديم حرجاً أن أطلق على أية قوة تعارض وتواجه جيش الحكومة الجديد لقب «عدو الإمبراطور».

على أية حال، انطلق هذا الجيش العظيم نحو أيدو فى ثلاثة محاور أو ثلاثة طرق رئيسية.وعلى الرغم من هذا العدد العظيم لجنوده أو بالأحرى بسبب هذا العدد العظيم قابل جيش الإمبراطور مصاعب عديدة من بينها قلة الاعتمادات المالية، إلا أن هذه المشكلة تم التغلب عليها فيما بعد بفضل مساعدات تجار أوساكا الكبار، ولكن كانت هناك مشكلة أخرى وهى عدم استطاعة الحكومة الجديدة السيطرة على هذه الأعداد الكبيرة من الجنود التى اجتمعت من كل حدب وصوب. ولاسيما أنه كانت هناك فرق كثيرة تتبع عدة جهات ولكل فرقة طريقتها فى الحرب وفى طرق جذب الفلاحين.ومن أشهر هذه الفرق التى سببت اضطرابًا كبيرًا للحكومة الجديدة هى فرقة «سيكى هوتاى Sekihōtai» وقد سبقت هذه الفرقة جيش الإمبراطور إلى إيدو، وكان أحد أدوارها هو اجتذاب الفلاحين. ومن أجل هذا الهدف أشاعت هذه الفرقة فى الفلاحين أنهم سوف يعفون من نصف الضرائب العينية التى يدفعونها للحكومة ذلك العام (١٨٦٨م) وربما فعلت هذه الفرقة هذا تعاطفاً مع الفلاحين نظراً لأن معظم أعضائها من الفلاحين.

وبالطبع فرح الفلاحون أيما فرح نظراً لأن هذه الضرائب كانت تثقل كاهلهم، ولكن هذا العمل أربك سياسة الحكومة الاقتصادية. وهنا ولكى تتهرب الحكومة من هذه المسئولية أعلنت أن فرقة السيكى هوتاى ما هى إلا فرقة إمبراطورية مزيفة ولا يعتد بوعودها ثم ألغت هذا الإعفاء ولم تترك الحكومة الجديدة زعماء هذه الفرقة دون عقاب رادع، فقامت بإعدام زعيمهم صاجارا صوظو Sagara Sōzō (١٨٣٩م – ١٨٦٨م) ومعه ما يقرب من ستين فرداً من أتباعه وجنوده بالقرب من بحيرة سوا Suwako الواقعة فى محافظة ناجانو، وذلك

فى بداية شـــهر مارس ١٨٦٨م. وأصبح بذلك صاجارا وجنوده الذين طالما كافحوا من أجل إعـــلاء كلمة الحكومة الجديـــدة أصبحوا هم أول ضحاياها، وفعلت الحكومة بهم كما تفعل الثورات فكان أول ضحاياها هم أبناؤها.

كانت تلك هى أول خطايا حكومة النهضة الجديدة، فلم يتســع صدرها لخطأ ارتكبته فرقة عســكرية عملت من أجلها كثيراً. والحقيقة أن ما فعلته فرقة السيكى هوطاى لم يكن بالخطأ التام. فقد تعاطفت هذه الفرقة مع الفلاحين لســببين أولهما أن نحو ثلثى أعضائها كانــوا من الفلاحين، وثانيهما أنهــا كانت ترمى بذلك إلى طمأنة الفلاحين والمواطنين على أرزاقهــم فيقومون بمضاعفــة الإنتاج. وإلى جانب ذلك كان لهــذه الفرقة أعمال وإنجازات أخــرى فقد كانت تســبق جيش الحكومة إلى مختلــف المقاطعات وتقــوم بالتفاوض معهم وتجعلهم يؤيدون يمين الولاء للحكومة الجديدة، بل إنها كانت تحصل منهم على الأسلحة والأموال والمؤن. ورغم ذلك حدث ما حدث لصاجارا وصحبه، ثم ذاق الفلاحون اليابانيون المر على يد الحكومة الجديدة مما ســيجعلهم يثورون ويغضبون ويسببون للحكومة الجديدة المشاكل كما سوف نعرض لها فيما بعد.

هكــذا بدأ عصر النهضة فى اليابان بالضغط على أبنائــه وظلمه إياهم، وكذلك بالضغط على الفلاحين البؤساء الذين تصوروا أن نهاية عذابهم قد جاءت بنهاية عصر الطوكوجاوا، إلا أن أحلامهم هذه ذهبت سدى واستمرت معاناتهم كذلك فى عصر النهضة مما سيجعلهم يثــورون على النظام الجديد كما ذكرنا. وكأن التاريخ يعيد نفســه فى مكان يبعد عن مصر بآلاف الكيلومترات ويبعد زمنياً عن حقبة النهضة المصرية التى قامت فى عهد محمد على ومن أجل حلمه ونهضته. إلا أن الحق يقال إن الفرق فى تعامل الفلاح اليابانى كان مختلفاً إلى حد كبير عن تعامل الفلاح المصرى فى مواجهتهما لظلم الحكومة وتعسفها. فالأول كان إيجابيــاً يثور فى وجــه الحكومة الجديدة، والثانى كان ســلبياً إلى حد بعيد فى مواجهة جبروت محمد على وأعوانه، وقد عالجنا هذا الموضوع بالتفصيل فى كتابنا الســابق «محمد على باشا والإمبراطور ميجــى ما لهما وما عليهما».

ولم تقتصــر متاعب الحكومة الجديدة على مقاومة جيش الباكفو ومشــاغبات الحركات العسكرية التى كانت موالية لها ثم اختلفت معها فى أيديولوجية الحركة، بل تعدت هذه المتاعب لتشــمل أيضاً الثورات والهوجات التى قام بها الفلاحون ضدها؛ ففى شهر فبراير

١٨٦٨م وعندما أحس جموع القرويين أن مركز الحكومة الجديدة أصبح مهتزاً فحاولت استغلال هذا الموقف من أجل الضغط عليها فقاموا بهوجات وثورات فى جميع أنحاء البلاد تقريباً. والغريب أن هذه الثورات لم تقتصر على المقاطعات التى عارضت الحكومة الجديدة فقط بل انتشرت أيضاً فى المقاطعات التى أيدت أيضا الحكومة.

وعندئذ ظهرت خاصية حب الوطن التى تميز القاده اليابانيين؛ ففى خضم الحرب الأهلية والثورات الريفية بزغت أصوات من كلا المعسكرين: معسكر البلاط الإمبراطورى أو الحكومة الجديدة ومعسكر الباكفو، ونادت هذه الأصوات بالتغلب على الفرقة بين المعسكرين حتى لا تهتثمر هذا الدول الأجنبية وتتدخل فى شئون اليابان الداخلية. وفى هذا الصدد بعث القائد العام لجيش طوكوجاوا كاتسوكاى شو (١٨٢٣م – ١٨٩٩م) Katsukai - Shu خطاباً وجهه لقائد جيش الحكومة الجديدة وهو سايجو تاكامورى Saigo Takamori يحذر فيه من عواقب استمرار الحرب الأهلية وهوجات الفلاحين فى كل أنحاء البلاد. وكان أبرز ما جاء فى خطاب كاتسوكاى شو ما يلى:

«لقد عمت ثورات وهوجات الفلاحين جميع أنحاء المناطق الشرقية وفى مقدمتها أيدو. وأصبح كما لو كانت الأمور خرجت عن الإمساك بها. وأصبح من الممكن للدول الأجنبية أن تنقض على اليابان لو أرادت ذلك. وفى مثل هذه الظروف يصبح من غير المقبول أن تنقسم البلاد إلى معسكرين بسبب النزاع ما بين فريق الطوكوجاوا وفريق ساتسوما. ويصبح علينا أن نتفادى بكل الطرق حدوث حرب بين المعسكرين فى أيدو.

وفى الحقيقة لم يكن هذا الذى ذكرناه آنفاً هو رأى كاتسوكايشو فقط بل كان أيضاً هو نفس وجهة نظر المعسكر المقابل وكان فى طليعة هؤلاء رجل البلاط الشهير إيواكورا طومومى. وهكذا نرى مدى عقلانية القواد فى كلا المعسكرين. وبالفعل أدى هذا التفاهم المتبادل بين الطرفين إلى اجتماع كاتسوكايشو من معسكر طوكوجاوا وسايجو من معسكر الحكومة الجديدة فى ١٤ مارس، وذلك فى مقر مقاطعة ساشوما بأيدو واتفق الطرفان على أن توقف الحكومة الجديدة هجومها الشامل على أيدو الذى كان مقرراً له يوم ١٥ مارس، وفى مقابل ذلك يتقاعد كل أفراد عائلة الطوكوجاوا وكذلك الشوجون يوشينوبو عن ممارسة السياسة والحكم إلى جانب تسليمهم قلعة أيدو إلى جيش الحكومة وكذلك تسليمهم كل الأسلحة التى فى حوزتهم إلى الطرف المقابل.

وبالفعل ترك الشوجون الخامس عشر والأخير يوشينوبو معبد كانئيجى Kaneigi الذى كان يمكث فيه بعد تركه لقلعة أيدو متوجهاً إلى مسقط رأسه فى ميتو وذلك فى ١١ إبريل، وتم تسليم قلعة أيدو أيضاً وبدون أدنى مقاومة إلى الجيش الإمبراطورى فى ذلك اليوم نفسه.

وإذا كنا قد ذكرنا أن الخوف على مصير اليابان من تدخل القوى الكبرى فى أمورها الداخلية هو الذى جعل قادة اليابان آنذاك من المعسكرين ينهون أزمة نهاية عصر الطوكوجاوا بسلام وألا يقدموا على معاقبة الشوجون الأخير وعشيرته، فهذا لا يعنى أنه لم تكن هناك عوامل أخرى أدت إلى تلك النتيجة. فقد كان للدور الإنجليزى وعلى الأخص الدور الذى لعبه القنصل الإنجليزى فى اليابان آنذاك باركس (Harry Sanith Parkes) (١٨٢٨م – ١٨٨٥م) تأثيره الواضح من أجل تفادى الصدام ما بين المعسكر الإمبراطورى ومعسكر الباكفو. فقد عارض باركس الاتجاه الذى كان يؤيد معاقبة الشوجون بوشينوبو وذلك فى لقائه مع ممثل سايجو تاكامورى زعيم المعسكر الإمبراطورى قبيل اعتزام سايجو اقتحام قلعة أيدو. وكان رأى باركس أنه ليس من الأخلاق فى شىء معاقبة يوشينوبو على الرغم من إعلانه الولاء للإمبراطور، ونحن هنا لا نستطيع منع القارئ الكريم من إبداء دهشته لموقف باركس هذا لأن إنجلترا طالما ناصبت معسكر الباكفو العداء.

ولكن إذا عرفنا السبب الحقيقى من إبداء باركس لهذا الرأى فسوف يزول عجبنا ودهشتنا؛ فقد خشى باركس من أن اندلاع الحرب بين المعسكرين فى أيدو وما حولها وخاصة يوكوهاما وما سوف يعرض حياة الأجانب الذين يسكنون هذه المنطقة، إلى جانب تعريض تجارة الإنجليز المزدهرة فى يوكوهاما للخسارة الكبيرة.

وفى الحقيقة فإن العديد من المؤرخين والباحثين يرون فى السبب الثانى أهمية وتأثيرًا أكبر من السبب الأول فى تحديد مصير يوشينوبو وعائلته وحاشيته. وكذلك فى تسليم قلعة أيدو بلا إراقة دماء.

٢ - إعلان المبادئ الخمسة الأساسية لعصر ميجى:

لم يقتصر نشاط الحكومة الجديدة على إقصاء آخر شوجون والهجوم على أيدو فقط بل كانت هناك جهود حقيقية لتغيير وجهة المجتمع اليابانى بصفة شاملة. ولذلك أعلنت الحكومة الجديدة المبادئ الأساسية الخمس من أجل إصلاح سياسة الدولة ومجتمعها، وذلك فى ١٤ مارس.

وجاءت المبادئ الخمس كالآتى:

١ – إقرار الأمور المهمة بعد استشارة وسماع العديد من وجهات النظر.

٢ – تدار شئون البلاد من خلال اتحاد مختلف القوى سواء أكانت كبيرة أم صغيرة.

٣ – على الجميع سواء أكانوا نبلاء أم فرسان أم مواطنين أن يجمعوا قواهم وأن يمتلكوا دائماً إحساساً وشعوراً متجددين.

٤ – على الجميع تغيير العادات القديمة السيئة، والتعامل مع العالم الخارجى على أسس القانون الدولى (أى بمعنى أنه يجب نبذ وإلغاء القوانين اليابانية التى تتناقض مع القوانين الدولية).

٥ – إدخال المعارف من مختلف البلاد الأجنبية وتطوير اليابان إلى أقصى درجة.

وكانت الحكومة الجديدة قد أعلنت هذه المبادئ الخمسة قبل الميعاد المحدد للهجوم على أيدو بيوم واحد، أى فى الرابع عشر من مارس. وقد قصدت من ذلك تثبيت الجبهة الداخلية من ناحية، وتحسين صورة اليابان أمام الأجانب من ناحية أخرى. ففى الناحية الداخلية أرادت الحكومة الجديدة من وراء المبادئ الخمسة إنجاح مساعيها من أجل إسقاط الباكفو، فكان لابد لها من تجميع كل القوى من أجل هذا الهدف.

كذلك كان لابد من إصدار هذه المبادئ الخمسة لتعميق المناقشات العامة أو بالأحرى ما يطلق عليه الممارسات الديموقراطية الآن. أما من الناحية الخارجية، فقد واجهت الحكومة الجديدة عدة مشاكل عويصة تجاه الدول الغربية أقضت مضاجعها؛ ففى ميناء كوبى تصادم جنود مقاطعة بيزن(أوكاياما) بالمدفعية ضد الجنود الأجانب، فيما عرف بحادثة كوبى Kōbe Jiken، التى حدثت فى شهر يناير ١٨٦٨م وفى هذه الحادثة جرح عدد من الجنود الأوربيين والأمريكيين. وقد ردت القوات الغربية بإطلاق النيران على جنود مقاطعة أوكاياما. بل قامت باحتلال المناطق التى يسكن بها الأجانب، والتى اشتهرت بها مدينة كوبى منذ ذلك الزمن من القرن التاسع عشر. وهنا حاولت الحكومة الجديدة إرضاء الدول الأجنبية، فقامت بإرغام المسئول عن هذه الحادثة بالانتحار بعد أقل من شهر واحد من هذه الواقعة.

ولم تكن حادثة كوبى هى الوحيدة فى الاصطدام بالأجانب بل كانت هناك حادثة أخرى أعنف تعرف بحادثة «ساكاى Jiken Sakai» وقد وقعت بعد شهر واحد من حادثة كوبى

أى فى فبراير عام ١٨٦٨م وفى هذا الحادث أوقع جنود مقاطعة طوسا المتمركزين فى مدينة ساكاى الساحلية خسائر كبيرة فى جنود الأسطول الفرنسى عندما هبط هؤلاء الجنود على أرض ميناء ساكاى. فقد تم قتل ١١ جنديًا فرنسيًا فى هذه الواقعة الخطيرة التى أظهرت بأس اليابانيين وعنادهم على الرغم من الفجوه الواضحة بين قوتهم وقوة الغرب العسكرية.

وبالطبع أقامت فرنسا الدنيا ولم تقعدها حتى قامت الحكومة اليابانية بالحكم على عشرين جنديًا يابانيًا بالإعدام. ولكن الحكم نفذ فى ١١جنديًا فقط حيث أُجبروا على الانتحار بطريق شق البطن (Seppuku) أو ما يطلق عليها أيضاً بطريقة الهاراكيرى Harakiri وهنا ظهرت العدالة الفرنسية متمثلة فى سلوك قائد الأسطول الفرنسى الذى اكتفى بهذا العدد من القتلى اليابانيين حيث تساوى عددهم بذلك مع القتلى من الجنود الفرنسيين، أما باقى المتهمين من الجنود اليابانيين فقد حكم عليهم بالنفى.

ولا نستطيع أن نمنع القارئ الكريم من إبداء دهشته لتطبيق العدالة الفرنسية الشهيرة بحذافيرها فى اليابان وعدم تطبيقها من خلال نابليون وخلفائه فى مصر عند قيامهم بحملتهم على مصر خلال السنوات التى قضتها الحملة الفرنسية من عام ١٧٩٨م – ١٨٠١م، فقد قام جنود الحملة بحرق قرى مصرية بأكملها إذا أبدت أى نوع من أنواع المقاومة، وليس ببعيد عن أذهاننا مدى العنف والقسوة التى قابل بها الفرنسيون القاهريين حال قيامهم بثورتى القاهرة الأولى والثانية ضد الاحتلال الفرنسى الكامل لمدينتهم.

وزاد الطين بله بالنسبة للحكومة الجديدة عندما قام أنصار طرد الأجانب من اليابانيين بمهاجمة القنصل الإنجليزى باركس، وكان فى طريقه لمقابلة الإمبراطور اليابانى وذلك فى ٣٠ فبراير، أى أن هذا الشهر شهد حادثين كبيرين للهجوم على الأجانب، فواجهت لذلك هجوماً عنيفاً ونقداً من الدول الأجنبية، مما جعل من مهمة إسقاط حكومة الباكفو أمراً مشكوكاً فيه بسبب افتقاد الحكومة الجديدة ثقة الأجانب لعدم تحكمها فى أمور البلاد الداخلية. ولذلك أقدمت الحكومة اليابانية الجديدة فى إصرار على إصدار المبادئ الخمسة حتى تظهر حسن نيتها نحو الأجانب، إلى جانب تحسين صورتها ببرواز الديموقراطية الذى أعلنته من خلال المبادئ الخمسة.

ولكن بعد يوم واحد من إصدار المبادئ الخمسة الأساسية أى فى يوم ١٥ مارس، أصدر ما يمكن تسميته الآن برئيس الوزراء (Daijokan) المنوعات الخمسة مكتوبة على لافتات علقت عند كل ناصية شارع فى كل أنحاء البلاد تقريباً.

وكانت هذه المنوعات الخمسة تحاكى إلى حد كبير تلك السياسة التى طبقتها حكومة الباكفو البائدة، وإليك هذه المنوعات:

١ – منع التجمعات والتكتلات.

٢ – منع استخدام العنف ضد الحكومة.

٣ – منع الفلاحين من الهروب من قراهم.

٤ – منع سكان المدن من هروبهم من مدنهم.

٥ – تحريم الديانة المسيحية.

ومن خلال هذه المحرمات الخمسة يبرز لنا الوجه الكئيب للحكومة الجديدة وهو على العكس تماماً من الوجه المتألق الجميل الذى رأيناه من خلال المبادئ الخمسة. وكأن الحكومة الجديدة استكثرت على الشعب اليابانى أن يمارس الديموقراطية والحرية كما يمارسها المواطن الغربى. ولكن الحكومة عادت وصححت من مسارها بإصدار مرسوم آخر عرف باسم (سيتاى شو Seitaisho) بعد شهر واحد. وقد أعد مسودة هذا المرسوم فوكو أوكا تاكا تشيكا Fukuoka Takachika (١٨٣٥م – ١٩١٩م).

ومن خلال هذا المرسوم عملت الحكومة على تجسيد وتطبيق المبادئ الخمسة. فقامت باستحضار النموذج الأمريكى فى تقسيم السلطات فى البلاد إلى ثلاث سلطات وفصلها عن بعضها البعض. والسلطات الثلاث هى القضائية والتشريعية والتنفيذية. ولكن طبقاً لهذا المرسوم فقد احتكر النبلاء الوظائف المهمة فى الدولة.

٣ - الحرب ضد فلول الباكفو:

ذكرنا فيما سبق كيف أن قلعة أيدو سلمت دون قتال لجيش الإمبراطور. ومن ثم وضعت مدينة أيدو تحت حكم الحكومة الجديدة، إلا أن هذا الوضع الجديد لم يعجب أتباع الباكفو الذين ظلوا على عدائهم للحكومة الجديدة. فما كان منهم إلا أن تركوا إيدو ليبدأوا حربهم من جديد ضد الحكومة الجديدة، ولم يكتفوا بذلك بل طالبوا العديد من المقاطعات الشرقية بمحاربة الحكومة الجديدة، والمقاطعة التى كانت ترفض طلبهم تواجه بحربهم لها. كذلك انضم إلى هؤلاء المحاربين الكثيرون من الفلاحين الذين كانوا يعانون من العديد من الضغوط الاقتصادية. وقد بلغ عدد المقاطعات التى انضمت إلى الحانقين على الحكومة الجديدة إلى ما يقرب من ثلاثين مقاطعة مما يدل على أن الأمور لم تكن سهلة تماماً أمام الحكومة الجديدة.

وقـد تبلـورت الحركة المناهضة للحكومة الجديدة فى شـكل فرقة كبـيرة أطلق عليها فرقة «شـوجى تاى» تكونت فى فبراير ١٨٦٨م، وقد بلغ عدد هؤلاء المحاربين المناهضين للحكومة الجديدة نحو ٣ آلاف محارب عسكروا فى معبد كانئجى Kanei المبنى على جبل توئيظـان Tōeizan الموجـود فى منطقة أوينو، وظلت هـذه الفرقة تناوش جيش الحكومة الجديدة الذى كان قد سيطر على قلعة ومدينة إيدو. ولكن جيش الإمبراطور لم يصبر طويلاً على هذه الفرقة فقام بالهجوم على جبل أوينو بقيادة أومورا ماسوجيرو Omura Masajiro (١٨٢٥م – ١٨٦٩م)، وهو القائد الفذ الذى أسس الجيش البرى اليابانى الحديث، والذى طبق النظم الحربية الفرنسية على الجيش اليابانى. ووضع هذا القائد نهاية لفرقة المناهضين لجيـش الإمبراطـور فى يوم ١٥ مايو ١٨٦٨م عندما هاجمهم فى عقر دارهم، وأجهز عليهم جميعاً تقريباً وذلك خلال يوم واحد فقط.

ولكن القضاء على فرقة «الشـوجيتاى» لم يعـن أن المقاومة ضد جيش الحكومة انتهت تماماً، ذلك لأن حركة المعارضة والمناهضة كانت قد اتسع مداها إلى مقاطعات وفرق أخرى. فقد تكون تحالفٌ من عدة مقاطعات زاد على الثلاثين كان متمركزاً على مقاطعات منطقة أوو Ouu التى يدخل ضمن نطاقها مقاطعات دوا Dewa وفوكوشيما ومياجى Miyagi وإيواتى وأوموری وأكيتا وياماجاتا ومعهن إيتشى جو (محافظة نييجاتا).

وقـد بـدأ هجوم جيش الحكومة الجديدة على هذا التحالف فى شـهر يوليو (١٨٦٨م) وتوالـت المعـارك بين الطرفين وخاصة ضد مقاطعة أيزو Aizu (محافظة فوكوشـيما). وقد أظهر تحالف المقاطعات ضد الحكومة الجديدة مقاومة شديدة لدرجة أن هذا التحالف أبدى رغبته فى إنشـاء حكومة أخرى مسـتقلة تواجه الحكومة الجديدة التى قامت على أكتاف مقاطعتى ساتسـوما وتشوشو. ولكن من بين المقاطعات المختلفة التى قاومت جيش الحكومة بـرزت مقاطعة أيزو، وذلك لأن حاكم هذه المقاطعة احتـل موقعا بارزاً فى العاصمة كيوطو فـى نهاية عصر الباكفو، مما جعل هذه المقاطعة تعتز بنفسـها وتعد نفسـها نداً لمقاطعتى ساتسـوما وتشوشـو. ولذلك بذل كل مواطنى هذه المقاطعة سـواء أكانوا محاربين صغارًا أو كبارًا والرجال والنساء أيضاً بذلوا جميعاً كل طاقة لديهم من أجل مقاومة جيش الإمبراطور، ولإبراز مدى قوتهم وسـطوتهم، إلا أن قوة واستعداد الجيش الإمبراطورى وتسلحه بأحدث الأسلحة وكذلك العدد الكبير لجنود هذا الجيش أجبرت هذه المقاطعة وغيرها من المقاطعات

على التسليم فى نهاية شهر سبتمبر. وكانت المعارك بين الجانبين على أشدها لدرجة أن أثار القصف الذى قام به جيش الحكومة ما يزال باقياً فى شكل العشرات من الفتحات فى قلعة واكاماتسو بمحافظة فوكوشيما.

وفى معارك الحكومة ضد مقاطعة أيزو اشتهرت فرقة الثعالب الصغيرة أو فرقة الغلمان (Byakkotai). فقد قسمت سلطات المقاطعة الفرق المحاربة إلى أربع، وذلك حسب سن المشتركين من الجنود، وكان أصغر هذه الفرق هى تلك الفرقة التى كان يتراوح سن جنودها ما بين ١٦ – ١٧سنة، وكان عددهم نحو ٣٥٠ جنديًا. وفى إحدى المعارك التى دارت فى أغسطس ١٨٦٨م اشترك ٣٧ جنديًا صغيرًا، قتل منهم فى ميدان المعركة ١٧ جنديًا، أما الذين بقوا على قيد الحياة فكانو ٢٠ جنديًا وهؤلاء انتحروا بعد المعركة بيوم واحد بسبب يأسهم من الانتصار، ولم يبق على قيد الحياة من هؤلاء إلا فرد واحد. وقد ظل أهالى أيزو يبكون هؤلاء الغلمان مدة طويلة بعد ذلك.

ولم تكد الحكومة الجديدة تقضى على مقاومة مقاطعات الشمال الشرقى حتى واجهت خطراً آخر تمثل فى سعى قائد أسطول حكومة الباكفو أني موطوتاكى أكى Enomoto Takeaki (١٨٣٦م – ١٩٠٨م) لتأسيس حكومة أخرى منفصلة ومستقلة عن الحكومة الجديدة، وذلك فى جزيرة هوكايدو التى تبعد آلاف الكيلومترات عن العاصمة كيوطو. ففى أغسطس ١٨٦٨م قام إنوموطو ومعه القائدان أوطورى كيسوكى Ōtori Keisuke (١٨٣٢م – ١٩١١م) وهيجيكاتا طوشيظو Hijikata Toshizo (١٨٣٥م – ١٨٦٩م) بالهروب من إيدو إلى هوكايدو ومعهم العديد من أتباع الباكفو فى ثمانى سفن حربية كانت مملوكة لحكومة الباكفو. وفى هوكايدو استقروا فى مدينة هاكوداتى الساحلية وأسسوا بها نوعاً من الزراعة قائمًا على النمط الغربى وأقاموا مصنعاً للحديد ومستشفى. ونصب إنوموطو نفسه حاكماً عاماً على هوكايدو وانفصل بها عن الحكومة المركزية؛ بل إنه أقام نظاماً سياسياً أقرب إلى الشكل الجمهورى. وفى هذا النظام أنشأ عدة إدارات أو وزارات من أهمها وزارتا الجيش البحرى والبرى ووزارة لإستصلاح الأراضى والتنمية. وتعد هذه الخطوة هى أولى الخطوات من أجل استصلاح وتعمير جزيرة هوكايدو التى سارت على وتيرة واسعة فى السنوات التالية من عصر ميجى.

بالطبع لم تكن الحكومة الجديدة لتسكت على هذا الوضع فى هوكايدو لأن فى ذلك تقويضًا لوحدة البلاد. ولكنها لم تستطع اتخاذ إجراء فورى نظراً لصعوبة إنفاذ حملة عسكرية

لإخضـاع أنوموطو وأتباعه بسـبب تراكم الجليد، فكان لابد من الانتظار حتى ربيع السـنة التاليـة (١٨٦٩م) حتى يكون الجليد قد ذاب. وبالفعل أنفذت الحكومة حملتها إلى هوكايدو فى مارس ١٨٦٩م التى رست بوارجها على ساحل هاكو داتى فى إبريل ١٨٦٩م. واستمرت الحـرب بين جيش الإمبراطور وجيش إنوموطو لمدة شـهر كامل. ولكن لم يسـتطع أنوموطو وجيشه الصمود أمام جيش الإمبراطور ولم يجد سوى أن يتحصن بقلعة جوريوكاكو الحصينة التى كانت قد أنشـئت فى أواخر عهد الباكفو على النمط الغربى. إلا أن هذا أيضاً لم يحمه من جيش الحكومة القوى فسقطت فى النهاية هذه القلعة المنيعة فى شهر مايو لتنتهى بذلك حروب البوشين التى استمرت لنحو عام ونصف العام خاضت خلالها الحكومة الجديدة عدة حروب ضد المناوئين لها من أتباع الباكفو. وبذلك تهاوت أيضاً جمهورية أيزوتشى (هوكايدو) التى كان يحلم بتأسيسها إنيموطو فى الأرض الجديدة.

كان لحروب البوشين تأثيرها الواضح فى تأخير وحدة البلاد، فعلى الرغم من أن عاصمة الباكفو وقلعتها قد سلمت دون شرط أو قيد أو حتى إراقة نقطة دماء واحدة فإن هذه المعارك العديدة التى خاضتها الحكومة الجديدة أنهكتها اقتصاديا وعسكريا وأنهكت أيضاً وبصورة أكثر عمقاً هذه المقاطعات التى حاربت ضدها ما أدى إلى التعجيل فى إنهاء نظام المقاطعات ليحل محله نظام المحافظات كما سوف يأتى فيما بعد ذكره.

٤ - إجراءات جديدة جريئة:-

تميزت الفترة الأولى من عصر ميجـى بقيام الحكومة الجديدة بعدة إجراءات قد لا نبالغ إذا وصفناهـا بأنها ثوريـة وجريئة فى الوقت ذاته وكان لاتخاذ هـذه الإجراءات المتتالية تأثيرها الواضح على شتى مناحى الحياة فى اليابان آنذاك.

(أ) نقل العاصمة:

ظلت كيوطو عاصمة اليابان لما يزيد على الألف عام، ولكن نظراً للتغيرات التى حدثت فى نهاية عهد الباكفو وبداية عهد جديد هو عهد ميجـى، فكان لابد من التفكير فى نقل العاصمة من كيوطو إلى مكان آخر.

ومن أهـم هذه التغيرات التى حدثت هى محاولة تقليد الغرب فى تطبيق الديموقراطية فـى البلاد ومحاولة إدمـاج البلاط الإمبراطورى وجعله يقترب مـن المواطنين. ولأن كيوطو

ومنذ مئات السنين عرفت كمدينة للنبلاء، وهم فقط دون باقى أفراد الشعب كان لهم حق الاتصال بالإمبراطور وبالبلاط الإمبراطورى فكان ذلك يعنى عدم ديمقراطية العاصمة أو بالأحرى عدم شعبيتها. وكان أول من فكر فى نقل العاصمة من كيوطو إلى مدينة أخرى هو سياسى ساتسوما الشهير أوكوبو طوشيميتشى ōkubo Toshimichi (١٨٣٠م – ١٨٧٨م)، ولكن كانت وجهة نظر أوكوبو هى أن تنتقل العاصمة إلى مدينة أوساكا ذات الطابع الشعبى وقد تقدم بطلب للبلاط الإمبراطورى يوضح فيه وجهة نظره هذه فى فبراير ١٨٦٨م. ومن بين ما أوضحه أوكويو فى طلبه للإمبراطور أن هناك فجوة بين البلاط الإمبراطورى وبين الشعب، ومن أجل إذابة وإزالة هذه الفجوة فلابد أن يقوم الإمبراطور بزيارة لمدينة أوساكا يتبع ذلك تغيير العاصمة من كيوطو إلى أوساكا. وإذا ما قام الإمبراطور بهذه الخطوة فسوف يكون من السهل القضاء على الباكفو ولكن ما حدث بعد ذلك أن سحب البساط من تحت أقدم أوساكا ليذهب إلى مدينة إدو، ففى يوليو ١٨٦٨م، تم تغيير اسم مدينة إدو إلى طوكيو أى العاصمة الشرقية، أى أنها أصبحت نداً للعاصمة الغربية طوكيو.

وفى ٨ سبتمبر من العام نفسه تم تغيير التقويم اليابانى ليصبح عام ١٨٦٨م هو الأول من ميجى. وكذلك تم سن قانون يجعل فترة حكم الإمبراطور الواحد تقتصر على تقويم واحد فقط، وليس كما كان يحدث من قبل عندما كان التقويم يتغير لعدة أسباب يأتى من بينها تغيير الإمبراطور نفسه.

وفى العشرين من الشهر نفسه غادر الإمبراطور كيوطو ليصل فى ١٣ أكتوبر إلى طوكيو لتصبح هذه الزيارة بمثابة الإعداد للاعتراف بمكانة طوكيو الجديدة كعاصمة جديدة للبلاد، والذى سيتم بالفعل فى فبراير من العام التالى (١٨٦٩م) بعد أن تم نقل مقر الحكومة إليها وكان لنقل العاصمة إلى طوكيو هدفان: هدف استراتيجى وهدف رمزى. الأول هو كسب ود مواطنى المنطقة الشرقية (طوكيو وما حواليها من مقاطعات) لصالح الحكومة الجديدة، حيث إن هؤلاء المواطنين ظلوا لمدة زادت على قرنين ونصف القرن قريبين من عائلة طوكوجاوا، وإلى جانب ذلك إخضاع المقاطعات الشمالية الشرقية التى أبدت مقاومة وكراهية واضحتين للحكومة الجديدة وهذا ما حدث بالفعل كما شرحنا من قبل.

أما الهدف الرمزى فهو أن العهد الجديد سوف ينتهج سياسة جديدة مغايرة للسياسات والعادات القديمة التى كانت سائدة لقرون طويلة مضت. فكأن كيوطو هى العاصمة التى

ترمـز للقديـم وطوكيو هى العاصمة الجديدة التى ترمز لعهد جديد مغاير تماماً للعهود التى سـبقت عصر ميجـى وهذا بالفعل ما حدث وما سـوف نلمسـه فيما سوف يلى من حديث عن عصر ميجـى وما تميز به من متغيرات سياسـية واقتصادية واجتماعية، ولا يفوتنا هنا ذكـر مظاهر الفرحـة التى عمت المناطق التى مر بها الإمبراطور ميجـى فى أثناء رحلته من كيوطو إلى طوكيو التى بلغت نحو أسبوعين. وقد بلغ عدد الحاشية والأتباع الذين صاحبوا الإمبراطور فى هذه الرحلة نحو ٢٣٠٠ شـخص، وفى طريق الرحلة حرص الإمبراطور على مشـاهدة الفلاحين وهم يقومون بحصاد الأرز والصيادين وهم يقومون بصيد الأسماك ليقف على معاناة الشـعب وهو يقوم بأعماله اليوميـة، ولم يقتصر الأمر على التعاطف مع معاناة المواطنين، ولكنه قام أيضاً بإرسال معونات عينية ونقدية لهؤلاء الفلاحين الذين تأثروا من ويلات الحرب الأهلية. وبعد دخول الإمبراطور إلى قلعة أيدو وزعت كؤوس خمر الأرز على المواطنـين الذين كانوا يتصايحون قائلين «أعطونا كـؤوس الإمبراطور» وعمت مدينة طوكيو روحاً من البهجة لم تذقها المدينة منذ فترة طويلة، وكأن سكان المدينة يحاولون إزالة الكآبة والحزن اللذين ألما بهم بسبب حرب البوشين التى استمرت نحو عاماً ونصف العام.

وعلـى الرغم مـن زيارة الإمبراطور لمدينة طوكيو، فـإن الحكومة لم تجرؤ على إعلان انتقال العاصمة من مكانها القديم كيوطو إلى المكان الجديد طوكيو، وذلك لتوقعها حدوث معارضـة شـديدة من مواطنى كيوطو ضد هـذا الإجراء، ولم يعلن نقـل العاصمة إلا بعد انتقـال الإمبراطور من كيوطو إلى طوكيو فى المرة الثانية فى مارس ١٨٦٩م. وحتى انتقال الإمبراطـور إلى طوكيـو فى المرة الثالثة والأخيرة فى أكتوبر من العام نفسـه وجدت فكرة انتقال العاصمة إلى طوكيو معارضة شـديدة حتى من الإمبراطورة نفسـها، إلا أنه فى هذه المـرة أصبحت طوكيو هى المقر الدائم للإمبراطـور، وبالتالى أصبحت عاصمة البلاد ولكن دون إعلان رسمى بذلك.

(ب) إعلاء كلمة الإمبراطور وتعضيد الحكم المركزى:-

مما لاشك فيه أن وضع الإمبراطور ومركزه بقيا فى الظل طوال فترة حكم أسرة الطوكوجاوا، وإن لم يمنع ذلك من احترام اليابانيين لشخص الإمبراطور من منطلق أنه سليل الإله الآمر الذى سـوف يكون له أكبر الأثر فى استعادة سـلطته بعد نهاية عصر الباكفو. ولكن ولكى يسـتعيد الإمبراطور هذه السـلطة سـواء أكانت روحية أم تنفيذية كان لابد من اتخاذ عدة

إجراءات كان أولها ما تحدثنا عنه سابقاً من سحب السلطات من الشوجون وإعادة سلطة الإمبراطور وذلك فى بداية عام ١٨٦٨م. ثم جاءت المبادئ الخمسة التى أعلنها الإمبراطور بعد الخطوة السابقة بشهرين فقط. وفى الشهر نفسه (مارس ١٨٦٨م) جاء إعلان فصل الشنتوية عن البوذية، وذلك لإعلاء الديانة الشنتوية على البوذية (Shinbuts Bunri). فقد اندمجت لدى اليابانيين صورتا إله الشنتوية (Kami) والذى يجسده الإمبراطور بإله البوذية (Hotoke) وذلك منذ مجيء البوذية لليابان منذ قرون عديدة. وهذا جعل اليابانيين ينسون أن الإمبراطور هو سليل الإلهة اليابانية الأولى مما أفقده الكثير من مكانته القديمة. وفيما بعد عملت الدوله على ازدهار الشنتوية على حساب البوذية. وتلا ذلك تذكية المعابد الشنتوية على مثيلتها البوذية، بل اشتدت الحركة المعادية للبوذية وتمثلت فى قيام أعضائها بتحطيم التماثيل البوذية وحرق كتبها المقدسة، وتم إجبار الكثير من الرهبان البوذيين على ترك الرهبنة والعودة للحياة العادية.

وكانت الصورة فى معبد كوفوكو (Kōfukuji) أكثر قتامة، فقد تحول رهبان هذا المعبد البوذى إلى خدام فى معبد كاسوجا طايشا الشنتوى فى مدينة نارا، ثم تمادى التهوين من أمر المعبد البوذى الشهير لدرجة أن برجه الشهير المكون من خمسة طوابق (Gojūnoto) بيع بخمسة وعشرين ينًا فقط، وهكذا استمرت حملة معاداة البوذية (Hai Bustsu Kishaku) لعدة سنوات أخرى فيما بعد.

ثم كانت الخطوة التالية وهى إعادة الأرض (Han) والمواطنين (HansekiHokan) (seki) للإمبراطور، وذلك حتى يصبح الإمبراطور الحاكم الفعلى للبلاد فقد كان الوضع طوال عصر الطوكو جاوا من وجود مقاطعات عديدة تكاد تكون كل واحدة منها مستقلة عن الأخرى لا يمكن أن تقوم على أساسه دولة موحدة، وبالتالى لم يكن لليابان أن تتمكن من إقامة دولة مركزية قوية كمثيلتها فى الغرب، ولذلك كان لابد من إلغاء نظام الدايميو ونظام المقاطعات وتوحيد البلاد كلها تحت إمرة الإمبراطور.

وفى الحقيقة يرجع الفضل فى خطوة إعادة التحكم فى أمور الأرض والمواطنين للإمبراطور إلى كيدو تاكايوشى، وذلك عندما تقدم باقتراح إلى أوكوبوطوشيميشى فى سبتمبر ١٨٦٨م بهذا الأمر. وبالفعل أخذت المقاطعات الأربع المهمة وهى (كاجوشيما وياما جوتشى وطوساوساجا) أخذت زمام المبادرة فى إرجاع ما يتحكم فيه الدايميو وممتلكاته من أرض

وناس إلى الإمبراطور، وتقدموا مجتمعين بطلب للبلاط الإمبراطورى يفيد بهذا الأمر فى يناير ١٨٦٩م ومع بداية شـهر يوليو ١٨٦٩م كانـت ٢٦٢ مقاطعة قد امتثلت لأمر إعادة الأرض والنـاس للإمبراطـور Hokan (Hanseki) وكانت تلك الخطوة بمثابة التمهيد لإنهاء نظام المقاطعات الذى كان يعنى تقطيع أواصر الدولة الموحدة ثم صدر الأمر الإمبراطورى بأن يبقى حكام المقاطعات فى مناصبهم على أن تصبح تسميتهم محافظين للمقاطعات (Hanchiji). وبذلك أصبح حكام المقاطعات تابعين رسمياً للحكومة الجديدة كموظفين عموميين.

كانت الخطوة التى تحدثنا عنها تواً تعتبر دون شـك تعضيداً للدولة المركزية وتحسب فـى ميزان الحكومـة الجديدة إلا أنـه وكما يقال «لا تأتى الرياح بما تشـتهى السـفن» فقد نغـص على الحكومة حدوث ثورات وهوجات الفلاحين، وكذلك حدوث كسـاد فى المحاصيل خاصة المحصول الرئيسى الأرز، فرغم مجىء الحكومة الجديدة وتغيير سياسة الدولـة إلى حد كبير عما كان فى نهاية عهـد الباكفو فإن الضرائب التى كان على الفلاح دفعهـا لم تقـل، هذا إلى جانب أن الكسـاد مثل عبئاً كبيراً على الفـلاح الذى منع طبقاً للقانون من إبداء تزمره وغضبه سـواء باسـتعمال القوة أو بالتظاهرات مما أدى إلى انفجار الوضع والمشـاعر. وحدثت لذلك عدة ثورات وهوجات فى مناطق مختلفة من البلاد وذلك فى عامى ١٨٦٩م و١٨٧٠م.

ففـى منطقة تاكاياما بمحافظة جيفو Gifu ثار الفلاحون ومعهم أيضاً المدنيون بسـبب إلغاء محافظ المقاطعة لوعد قطعه على نفسه المحافظ السابق بتخفيض الضرائب إلى النصف بـل إنـه لجأ إلى فرض ضرائب جديدة مما أغضب جماهير المقاطعة كما أسـلفنا، فلم تجد الحكومة بدًا من أيقاف المحافظ عن العمل بل قامت بإلغاء جزء من الضرائب، وفى منطقة هاريما (محافظة هيوجو) قام العديد من سكان المقاطعات هناك بثورات وهوجات مما جعل الحكومة توافق على تخفيض الضرائب العينية إلى النصف.

ومـن الملاحظ فى ثـورة هاريما وغيرها من المناطق أن الاختـلاف بين هوجات وثورات عامى ١٨٦٩م و١٨٧٠م وبين ما سبقها من ثورات هو أنها حدثت على نطاق واسع، وكذلك حدثـت هذه الثورات بطريقة مباشـرة ضد الحكومة. وهذا مـا أقلق عُمَد الحكومة الجديدة وخاصة أوكوبوطوشيميتشـى وأوكوما شـيجى نوبو مما جعلهما يريان أنه لابد من مواجهة هذه الثورات والهوجات بكل الحزم والصرامة حتى لو قتل ألف مواطن..وهذا الحزم وتلك

الصرامـــة طبقتهما الحكومة بالفعل فى مواجهة العديد من الثورات لدرجة أن الحكومة قد استخدمت السيوف والبنادق من أجل إخماد ثورات الفلاحين. وتم نفى وإعدام العديد من قيـــادات هذه الثـــورات. ورغم ذلك لم يتلاشَ غضب الفلاحين والطبقات الدنيا وحنقهم من سكان المدينة.

ولم تقتصـــر الثورات والهوجات على الفلاحين وســـكان المدن فقط ولكن تعدت ذلك إلى فرق المحاربين من الفرســـان الجديدة التى تكونت من الســـاموراى والفلاحين وسكان المدن فى مقاطعة تشوشـــو. هذه الفرق ثارت حينما صدر الأمر بحلها وإدماج جنودها فى الجيش الحديث وكان ذلك فى عام ١٨٦٩م. ولم يمتثل جنود فرقة الفرسان لأوامر المقاطعة وهربوا مـــن خدمة الجيش الجديد وأثاروا المتاعب فـــى وجه الحكومة الجديدة بل قاموا بمهاجمة قلعة ياماجوتشـــى. ونظرا لاحتواء هذه الفرق على عدد كبير من الفلاحين وســـكان المدن – على عكس ما كان يحدث فى الماضى – فقد أظهرت هذه الفرق من الفرسان تعاطفاً وتعاوناً مع ثورات الفلاحين، ولكن مهما كانت قوة هؤلاء الفرســـان فما كانوا ليســـتطيعوا مواجهة القـــوة الطاغية للحكومة الجديدة ولذلك فقد خـــارت قواهم أمام جيش الحكومة الذى قاده كيدوتاكايوشى فى عام ١٨٧٠م.

ولكـــن على الرغم من القضاء على فرقة الفرســـان فإن تأثير هـــذه الفرقة جراء عصيانها الحكومـــة كان قـــد امتد إلى عدة فرق أخرى. وكانت نتيجة ذلـــك كله هروب ما يزيد على ألف ومائتى جندى من الخدمة فى الجيش والحكم على ما يزيد على ٩٠ جنديًا بالإعدام، والحكم بالطرد والنفى إلى الجزر النائية على ما يقرب من مائة وثلاثين من الفرسان الثائرين.

(جـ) إلغاء المقاطعات وإنشاء المحافظات: (Haihan Chiken)

ذكرنـــا فيما ســـلف عدة إجراءات قامـــت بها حكومة ميجـــى الجديـــدة من أجل تعضيد الحكـــم المركزى متمثلاً فى الإمبراطور. ونعود ونذكر القارئ بها؛ فقد قامت الحكومة بالفصل بين الديانتين (الشنتوية والبوذية) مؤكدة إعلاء كلمة الأولى على الثانية لأن الأولى تعنى عبادة الإمبراطـــور وأســـلافه من الأباطرة. وقامـــت كذلك بإصدار الأمر بإعادة تحكـــم الإمبراطور فى الأراضـــى وفى المواطنين (Hanseki Hokan) فى يونيو عام ١٨٦٩م وفى العام نفســـه قامت بإلغـــاء العديد من الألقاب القديمة المتعلقة بطبقة النبلاء ووحدتها فى لقب واحد وهو كاظوكو (Kazoku) بمعنـــى النبلاء، وفى نهايـــة العام تم إلغاء الألقاب الثلاثـــة: المزارعين والصناع

والتجـــار واندمجـــوا تحت لقب (العامة Heimim) بل لقد أدخلـــت الحكومة جزءًا من طبقة المحاربين (Shizoku) إلى طبقة العامة. وفى عام ١٨٧٠م تم الاعتراف والسماح لطبقة الهيميين (العامة) بإتخاذ لقب عائلى، فقد كان المتبع قبل ذلك ألا يسمح لهم بذلك إلا بتصريح خاص من الإقطاعى أو من ســيد الناحية أو المنطقة ثم كانت الخطوة التالية والمهمة جداً وهى إلغاء المقاطعات وإنشاء المحافظات (Haihan Chiken) وقد تمت هذه الخطوة المهمة جداً من أجل إتمام عملية مركزية الدولة اليابانية فى يوليو ١٨٧١م (٤ من ميجـى) لتضم اليابان فى البداية ثـــلاث محافظات كبرى هى طوكيو وكيوطو وأوســاكا و٣٠٢ محافظتين عاديتين. وفى نهاية العام نفسه ضمت جزيرة هواكايدو إلى هذه المنظومة وتم تقليل عدد المحافظات من ٣٠٢ (وهو بالفعل رقم مبالغ فيه) إلى ٧٢ محافظة فقط وثلاث كبرى (Fu).

وكانت الثورات والهوجات التى اجتاحت مناطق عديدة من اليابان قد جعلت الحكومة المركزية تفكر بجدية فى أمر إلغاء نظام المقاطعات الذى كان وجوده عقبة فى سبيل تعضيد الحكم المركزى وبالتالى سهولة حدوث هذه الثورات وتلك الهوجات العنيفة. ولكن وبسبب خوف الحكومة من معارضة محافظى المقاطعات لهذه الخطوة فقد جمعت الحكومة الجديدة نحو عشـــرة آلاف جندى من المقاطعات الموالية لها فى العاصمة الجديدة طوكيو وذلك منذ فبراير ١٨٧١م إلا أنه على الرغم من توقعات الحكومة الجديدة لم يظهر ولو محافظًا واحدًا أو مقاطعـــة واحـــدة يعترضون على قرار إلغاء المقاطعات، فقـــد كانت المقاطعات قد أنهكت قواها بســـبب الثـــورات والهوجات الكثيرة التى قام بها الفلاحون وســـكان المدن على حد ســـواء. أما المحافظون فقد رحبـــوا بتلك الخطوة لأن ذلك كان معنـــاه إعفاء المقاطعات من ديونهـــا وإلقاء عبء هذه الديون على عاتق الحكومة الجديدة، هذا إلى جانب أن الحكومة الجديـــدة ضمنت لحكام المقاطعات القدامى ومحافظيها مـــا تدفعه لهم من مرتبات وعطايا وكذلـــك ضمنت لهم وضعهم النبيل فى المجتمع، وعليه انتقـــل الكثير منهم للحياة بصفة مستديمة فى طوكيو. وأصبح فيما بعد تعيين المحافظين يتم من العاصمة طوكيو وهكذا تمت هذه الخطوة المهمة بسلاسة ويسر لم تكن الحكومة تتوقعها.

(د) قوانين اجتماعية جريئة:

كان مـــن أهم نتائج فرمـــان إعادة الأرض والمواطنين إلى حظـــيرة الإمبراطور (Hanseki Hokan) أن انفصمت عرى الوشـــائج بين حكام المقاطعات وأتباعهم من المحاربين وكانت

العلاقة بين الطرفين تمثل علاقة السيد والمسود، وبالتالى فقد كان لذلك الانفصام أكبر الأثر فى اهتزاز بل تحطيم النظام الإقطاعى فى البلاد.

وكما ذكرنا من قبل تغيرت مسميات بعض الطبقات، وألغيت ألقاب مثل الدايميو التى كانت قد عاشت بين اليابانيين لمئات السنين، وكذلك ألغيت ألقاب النبلاء من الطبقة العليا حتى اندمجا تحت مسمى جديد هو شيزوكو Shizoku وهو يعنى المحاربين أو العسكريين، وقد تم اتخاذ هذين الإجراءين فى عام ١٨٦٩م. ثم توالت التغييرات والإجراءات الاجتماعية الجريئة طوال ما يزيد على عشرين عاماً، مما يدل على فاعلية ثورة ميجى الإصلاحية وحيويتها. ففى عام ١٨٧١م تم إعلان قانون أو فرمان التحرير (Kaihōrei) وطبقاً لهذا القانون تم إلغاء ألقاب أيتا وهينين (Eta – Hinin) أو بالأحرى طبقتا المنبوذين. وتم إدخالهما ضمن طبقة العامة (هيمين Heimin) وكانت هاتان الطبقتان تضم هؤلاء الناس من الطبقة الدنيا من المجتمع والذين كانوا يقومون مثلاً بالتخلص من الحيوانات النافقة كالبقر والأحصنة، أو الذين كانوا يستخدمون فى القبض على المجرمين أو فى تنفيذ أحكام الإعدام عليهم وكانت طبقة الهينين تضم الشحاذين. وكان إدماج طبقتى الأيتا والهينيين فى طبقة العامة (Heimin) يعنى إعطاءهُم الحقوق والواجبات التى تتمتع بهما هذه الطبقة سواء أكان ذلك من ناحية الوضع الاجتماعى أم من ناحية التمتع بالحصول على مختلف الوظائف التى تتمتع بها طبقة العامة. ثم أصبح أيضاً من حق طبقة العامة الزواج من أية طبقة أخرى. وألغيت كذلك تلك الحقوق الجائرة الممنوحة لطبقة المحاربين بقتل أو جرح من يحلو لهم أو ممن يبدى عدم احترام لهم دون عقوبة توقع عليهم. واستطاع العامة من الناس لأول مرة اتخاذ ألقاب لهم ووضعها على لافتات تعلق على أبواب بيوتهم بعد أن كان ذلك غير مسموح للكثير منهم، والقليل الذى كان يستطيع ذلك كان لابد له من تصريح خاص من سيد الناحية كما ذكرنا آنفاً. واستطاع العامة أيضاً ركوب الخيل وارتداء العباءات التقليدية التى تسمى الهائورى والهاكاما Haori – Hakama.

وكما ذكرنا فقد تم إعطاء كل من طبقتى الهينين وإيتا حقوق وواجبات طبقة العامة مع إلغاء هاتين الكلمتين اللتين تدلان على احتقار شديد لهؤلاء الناس المساكين، وذلك طبقاً لقانون التحرير. ولكن للأسف كانت هذه التغيرات مجرد كلام وحبر على ورق لا أقل ولا أكثر. فلم تتغير أحوال هاتين الطبقتين التعستين على صعيد العمل والتعليم والزواج

عمـا قبـل قدر أنملة. بل كان من سـخرية القدر لهؤلاء التعسـاء أن قامت بين الفلاحين فـى غرب اليابان انتفاضات وهوجات عديدة بسـبب معارضتهم الشـديدة لتحرير هاتين الطبقتـين وإعطائهما الحقـوق والامتيازات التى تتمتع بهما باقـى طبقات العامة الثلاث وهى المزارعون والصناع والتجار. وفى هذا وضح تماماً أنه ليس كل القوانين التى أصدرتها الحكومـة الجديـدة فى أوائل عهد ميجـى تم تطبيقها بالفعل. وتشـابه مع هذا القانون الخاص بإلغاء كل الفروق الاجتماعية بين سـكان اليابان قانون آخر هو قانون منع البغاء الذى أُصدر فى عام ١٨٧٢م، وبالتالى تحرير هؤلاء النسوة اللاتى كتب عليهن ممارسة هذه المهنـة الوضيعة. ولكن هذا لم يحـدث على أكمل وجه إلا بعد إلغاء التصريح بهذه المهنة تماماً فى عام ١٩٥٨م، أى بعد نحو ٨٥ عاماً من صدور القانون الأول. وهنا لابد أن نسلم أن عادات وممارسات استمرت لمئات السنين تُمارس بشكل عادى تماماً بين اليابانيين من الصعب بل ربما من المستحيل أن تختفى ما بين ليلة وضحاها بمجرد إصدار قانون بمنعها مـن الحكومة. إلا أنه على الرغم من ذلك فـإن العديد من الباحثين يأخذون على حكومة ميجـى الجديدة عدم حزمهـا فى تطبيق هذه القوانين، وخاصـة القانون الثانى الخاص بإلغـاء الدعارة، ويسـتدلون على ذلك بما فعله محافظ طوكيو آنـذاك وكان يدعى أوكوبو إيتشـى أو Okubo Ichio (١٨١٧م – ١٨٨٨م) وذلك عندما أرسـل خطابات إلى رؤسـاء المدن والأحياء فى العاصمة يعلمهم من خلالها أنه على الرغم من إلغاء التصريح للعاهرات بممارسـة مهنتهن فإنهن يمكنهن ممارستها إذا رغبت فى ذلك إحداهن. وعليه أصبح من الممكن لصاحب الماخور أن يؤجر غرفة للعاهرة تمارس فيها مهنتها دون أن يلام على ذلك لأنه لا يدير هذه المهنة بنفسـه ولكن يؤجر الغرف فقط لا غير. وبالطبع قد لا تكون هناك نسـاء يرغبن فى ممارسـة هذه المهنة بمحض إرادتهن، إلا أن الفقر الذى كان ينتشـر فى البلاد آنذاك وخاصة فى الريف كان يرغم بعض العائلات والأسر على بيع بناتهن واللاتى لم يكن أمامهن سـوى ممارسة هذه المهنة وذلك بسـبب التراخى فى تطبيق القانون بمثل هذا التصريح الذى قدمه محافظ طوكيو.

وعلى أية حال، ومهما كان هناك من نقاط ضعف فى قوانين تحرير الطبقات التعسـة، وكذلـك عدم تلاشـى الصلاحيات والامتيازات التى كانت تتمتـع بها طبقات أخرى مثل السـاموراى والنبلاء اللتين كانت لهما علاقة بالبلاط الإمبراطورى، فإنه لا يسـتطيع حتى

المجحف أن ينكر أن تغيراً جذرياً حدث فى المجتمع اليابانى الذى استمر متجمداً على أوضاع إقطاعية شديدة التطرف لعشرات بل لمئات السنين وبسبب هذه التغيرات الجذرية فقد تم بالفعل قولاً وعملاً حل الإقطاع والعديد من أشكال النبالة.

وبالطبع لم تقتصر الإجراءات التى اتخذت من أجل إحداث ثورة اجتماعية على ما ذكرناه من تحرير الطبقات المطحونة والبائسة بل تعدت هذه الإجراءات لكى تمتد لتجريد طبقة الساموراى من أشكال التمييز التى كانت تجعلها فى وضع أعلى من الطبقات الأخرى مثل امتلاكهم للسيوف، فصدر الأمر بحرمانهم من سيوفهم (Haitorei) فى مارس ١٨٧٦م، وطبقاً لهذه القانون حرم على أى شخص باستثناء الجنود المشاركين فى المواكب الإمبراطورية وجنود الجيش والشرطة حرم التلويح بامتلاك السيوف بين العامة.

ومن ضمن التغيرات الاجتماعية التى أقرتها حكومة ميجى الجديدة ولا يمكن إنكارها هو سماحها للمسيحية بالظهور علانية أو ما عرف بفك الحظر عن الديانة المسيحية (Kirisutokyo Kaikin). وكانت الديانة المسيحية ومعتنقوها من اليابانيين قد تعرضوا للتنكيل ولضغوط رهيبة من السلطات اليابانية على فترات متقطعة. كذلك تعرض معقلهم فى منطقة أوراكامى بمدينة ناجا ساكى للاضطهاد وللقمع الشديدين لأربع مرات كبرى منذ عام ١٧٩٠م على يد حكومة الباكفو، وكانت آخر مرة فى عام ١٨٦٧م أى فى العام الأخير من عمر الباكفو ولكن هذه المرة الأخيرة من التنكيل بالمسيحيين اليابانيين أصبحت مشكلة دولية، حيث راح فيها الكثير من هؤلاء المساكين ضحايا التنكيل فى السجون. هذا على الرغم من أن المسيحية قد شهدت انفراجاً ونشاطاً منذ مجىء بيرى وعقد المعاهدات مع الدول الغربية، ولذلك نرى أن أماكن مخصصة للأجانب وهم بالطبع معظمهم مسيحيون قد أنشئت فى ناجاساكى وكذلك أقيمت كاتدرائية عظيمة فى عام ١٨٦٤م فى أوراكامى التى ذكرناها تواً، وعندما علم القرويون القاطنون بالقرب من هذه الكاتدرائية بأمر بنائها توافدوا عليها ولذلك أصبح عام ١٨٦٥م عاماً لانتعاش المسيحية من جديد. ولكن الغريب أنه عندما علمت السلطات بهذا الأمر استدعت الفلاحين الذين آمنوا بالمسيحية وقبضت عليهم. ثم قامت السلطات بعد ذلك بتوزيع هؤلاء المسيحيين على مختلف المقاطعات حتى لا تقوى شوكتهم. وعملت السلطات كذلك على وضع العراقيل والمضايقات فى طريق المسيحية، وحاولت بكل الطرق كى تثنى المؤمنين بالمسيحية على

الرجـوع عـن إيمانهم بها. وبذلـك وقعت حكومة الباكفو فى تناقض فى سياسـتها بين تشـجيعها للمسـيحية ببناء كاتدرائية كبرى بأوراكامى واضطهاد المسـيحيين كما رأينا لتكمل بذلك حكومة الباكفو سلسلة تناقضاتها.

وكما مر علينا آنفاً فقد اسـتمرت حكومة ميجـى الإصلاحية فى انتهاج سياسـة الباكفو فـى اضطهاد المسـيحية، وكان من أول إجراءاتهـا هو منع التدين بالمسـيحية فى مقابل اهتمامها بالكنفوشوسية وتعظيمها لها.

ولكن كان هناك عاملان أساسـيان غيرا من اتجاه حكومة الإصلاح فى سـبيل اعتراض طريق المسيحية فى اليابان، وهما: أولاً اعتراض قناصل ورؤساء البعثات الأجنبية الموجودة فى اليابان ضد هذه الإجراءات التعسفية تجاه المسيحية والمسيحيين، وثانياً: زيارة السياسى إيواكوراطوموى ومعه مجموعة من الساسة الشهيرين مثل أوكوبو وإيتو لأمريكا عام ١٨٧٣م وما لاقوه من ضغوطات من أجل إفساح الطريق أمام المسيحية فى اليابان. وبذلك صدر قرار رفـع الحظر عليها فى عـام ١٨٧٣م. وعلى الرغم من صدور هذا القرار فإن حكومة ميجـى ظلت تنظر بعين الريبة إلى المسـيحية ومعتنقيها، وكان قرارها برفع الحظر على المسـيحية فقط بسـبب رغبتها فى الانتماء والولوج إلى المجتمـع الدولى الحديث والمتقدم. وهكذا وقع قادة إصلاح ميجـى أيضاً فى التناقض فى معاملتهم مع المسيحية والمسيحيين كما وقع قادة حكومة الباكفو فى تعاملاتهم مع الاثنين. وبرغم دخول المسـيحية لليابان منذ قرون طويلة فإنها حتى اليوم لا تحتل بين سـكان اليابان سوى واحد بالمائة فقط، وربما يرجع هذا إلى مقاومتها من السلطات والمواطن العادى على السواء.

❑❑❑